تساوي الناس

سيدي منشئ المقتطف الفاضلين

قد جاءني جزء عشرين الاخير من المقتطف فتلقيتهُ بكل سرور كعادتي وطالعتهُ بكل امعان وتروٍ فاتيت على مقالتكما « الناس اخوة » فاعجبني ذلك الموضوع لما يترتب عليهِ من المنفعة العامة للقراء ولكني استغربت المنهج الذي نهجتماهُ في شرح ذلك الموضوع والتمهيد الذي مهدتماهُ للحصول على تلك المنفعة العامة . ولم أكن لاستغرب ذلك الشرح لو لم يكن صادراً عن فيلسوفين مثلكما لاني قرأت كثيراً مثلهُ من قبل فلم اعتد بهِ ولم انظر اليهِ بعين الانتقاد لاني لم أكن على يقين ثابت بكفاءة كاتبهِ من العلم الصريح وبما ان اعتقادي عظيم بغزارة علمكما واتكما تعلمان الحقيقة جئت انتقد على ما قلتماهُ هناك لانهُ غير مطابق للحقيقة او على الاقل ليس مدعم بالبراهين الكافية فاقول :

أني لا انتقد على قولكما ان الناس اخوة بل از يد على ذلك بقولي ان الوجود كلهُ من اصل واحد. ولكن انتقد على نفيكما التفاضل من بين الناس وقولكما انهم كلهم متساوون بالفطرة . وعلى تحاملكما على اصحاب مذهب النشوء في تنازع البقاء وبقاء الاصلح والقاء اللوم على عناء الطبيعة لعدم وضعهم حداً لذلك المذهب واستنجادكما برسل الخير دعاة الاديان على سد ذلك الخلل واقناع الناس بالمساواة

ولقد اثبتما في صدر تلك المقالة بن الجفاء والخشونة في طبع الانسان وان الجفاء اقدم من الخشونة ولكن لم تبرهنا للقراء كيف تولد الخشونة من الجفاء ولا كيف نشأ اولئك الافاضل الذين يقيمون الادلة على ان الناس اخوة وانهم متساوون من بين اولئك الذين يقيمون الادلة على ان الناس غير متساوين في الفطرة . وبينما انتما تودان ان تقنعا القراء بالمساواة تذكران لهم فرقتين من الناس هما على طرفي نقيض وكل منهما على مذاهب ودرجات مختلفة . فيجب على الذي يقول بامكانية امر ان يجريهُ ويظهرهُ بالفعل . فكيف تستطيع ان تصدق اول اي كان في ان الناس متساوون ونحن نرى بالفعل ان مساواة شخصين فقط من رابع المستحيلات فلو كان كل

الناس متساوين كما ذكرتما لما كان من داعٍ الى انشائكما المتحف لافادة القراء ولا كان من داعٍ الى ان تجهدا نفسيكما في اقناعهم ايضاً لانهم انفسهم قد يكونون على بينة من ذلك . وبالحقيقة اني لا استطيع ان افهم ماذا قصدتما بتلك المساواة لان كون الناس اخوة لا يوجب عليهم ان يكونوا متساوين وعدم مساواتهم امر بديهي لا يختلف فيه اثنان فالرجل قد يولد لهُ عشرة اولاد وكل منهم على اختلاف تام عن اخيهِ اما بالصورة او بالقامة او المعرفة او الفصاحة او الشجاعة او اللطف او الجفاء الى ما لا يمكن حصرهُ وهذا الاختلاف في العائلة الواحدة وفي العالم اجمع هو السر في النمو الطبيعي والارتقاء ولا يكون ارتقاء بالمساواة مطلقاً بل بالتفاضل . فالعبودية التي ظن العالم المتمدن انها انتفت منذ اطلاق الحرية والتي قد اسفنا على ظهورها بصورة جديدة فهي لا تزال ولم تنتفِ الاَّ بالاسم فقط فهي كانت وكائنة وتكون وسوف تبقى ما بقي هذا العالم لانها نتيجة ذلك التفاضل ولا تستطيع ان تنفيها العلوم الطبيعية ولا الاجتماعية ولا الدينية . فالعلوم الطبيعية تعلمنا ان تباين الحالات والتفاضل هو السر في كيان هذا الوجود . والعلوم الاجتماعية تعلمنا ان الجميع ليسوا على السواء في حالاتهم ومراتبهم فالملك والوزير والقائد والضابط والبوليس والعامي ليسوا على السواء والعلوم الدينية تعلمنا ان التفاضل بين الناس امر من قبل الله . فرصل الخير دعاة الدين الذين تستجدان بهم هم غير قادرين ان يبرهنوا المساواة وهم لم يعتنقوا ذلك الدين الاَّ لاعتقادهم انهُ افضل الاديان ولو لم يعتقدوا ذلك لما انتسبوا الى دين معين فكيف يستطيعون ان يثبتوا المساواة اذاً

واما تحاملكما على اصحاب مذهب النشوء واللوم عليهم لعدم وضعهم حداً لذلك المذهب فهو في غير محله لان حضرتكما من اعظم انصاره كما يظهر جلياً من كتاباتكما الكثيرة . واللوم على عدم وضع حد لذلك العلم هو في غير محله ايضاً لانهُ لا يمكن ان يوضع حد لما لا يعلم لهُ حد . وقد سألت حضرتكما في جزء آب الغابر هل لناموس الارتقاء حد يقف عندهُ او هو سائر الى ما لا نهاية لهُ فكان جوابكما لا نعلم ولا نظن احداً يدعي علم ذلك . فاذا كنتما لا تستطيعان ان تحدا ذلك العلم فلا حق لكما ان تلوما غيركما على ذلك ارضاء للرأي العام ولا ارى من الحق ان تلوما الفيلسوف نيتشه على مناداته باطلاق يد الطبيعة والجري على مقتضى نواميسها والطبيعة في مصدر الكون فاذا كنا لا نتبع المصدر والاساس فماذا يجب ان نتبع . وما المنفعة من اعتنائنا بالضعفاء والمرضى والزمنى والاشرار والمجانين ومطلقي الراحة وكل ما هو ضد الفضيلة والراحة ونحن نرى الاصحاء والاقوياء يتقرضون بالموت والموت آخرة كل حي . نجهد عقولنا لايجاد الادوية لشفاء الامراض ونستنبط الوسائل لانقاء المكروب ونحن في

الواقع تزيد المرض شيوعاً وتستنبت المكروب وكان لنا غنىً عن كل ذلك لو جرينا على مقتضى الطبيعة

واما تحسين النسل كما يروم السر فرانسس فلتن وتوافقان عليه ايضاً فهو ضرب من المحال او ما يقرب منهُ . لان ليس محبة الا محبة الذات واذا حللتها اعظم محبة في العالم وجدتها ان اصلها محبة الذات فاذا عرفنا ذلك كيف نستطيع ان نصدق ان الضعيف يضحي اعظم لذة ورجاء لديهِ لنفسة العالم بالرضى منهُ

واما توثيق عرى الحب والاتحاد بالتزاوج كما ذكرتما فانهُ حسن ولكنهُ لا يكون الاَّ بين طائفة واحدة او بين ابناء مذهب واحد ولا يكثر استعمالهُ الاَّ متى رسخ العلم الصريح في اذهان الناس ونفوا عنهم جميع الخرافات والاعتقادات واذ ذاك يكون العلم وحدهُ كافياً لانماء ذلك الغرس غرس الحنو والمحبة والاخاء فضلاً عن الاختلاط وتبادل العلائق

ولا اظن حضرتكما قادرين ان تجريا على مقتضى ما ذكرتما من امر التزاوج ولا يمكن ان يسمح احد كما لابنتهِ ان تقترن بأي كان من الناس ولا لابنهِ ايضاً بل يجهد عقلهُ ويتعب جهدهُ لكي يجد لها ولهُ الكفوَّ المناسب فاذا كان كذلك فاين المساواة اذاً واذا كان بخلاف ذلك فيجب عليكما ان تثبتا ذلك وحدرتهُ عموماً بدون التباس

هذا ومع اني منتقد لذا احب ان اكون مستفيداً ايضاً واعتقد ان حضرتكما تطلبان اضعاف ما ذكرت هنا فاكون بغاية الامتنان اذا تكرمتما بالافادة والبرهان على ما ذكرتما هناك

الداعي

شحاده خليل مالك

[المقتطف] لو كرر حضرة المنتقد الكريم قراءة المقالة التي انتقدها لاستغنى عن هذا الانتقاد على الراجح ولكفانا مؤونة الشرح لانهُ بنى انتقادهُ على ما اعتقد انا قلناهُ ونحن لم نقلهُ بل قلنا ما يضادهُ وعلى ما استنتجهُ من قولنا وقولنا لا ينتجهُ بل ينتج ما هو ضدهُ

قال اولاً انا نفينا التفاضل من بين الناس وقلنا انهم كلهم متساوون بالفطرة . ولا ندري اين وجد ذلك في كلامنا او كيف استنتجهُ منهُ . وكلمة متساوين او مساواة لم ترد في كلامنا مطلقاً وانما وردت في آخر المقالة في كلام الذين نعترض عليهم كأننا قلنا بلسانهم « حيث ان الناس غير متساوين كما هو مسلَّم بهِ منا ومنكم فاذا ساويتا بينهم اليوم اختلفوا غداً » فلعلك عن ان كل ما قلناهُ في تلك المقالة يرمي الى ان الناس غير متساوين حتى « الطوائف الراقية متباينة ايضاً في درجات رقيها » كما قلنا . وقولنا ان الناس اخوة لا يوجب كونهم

متساوين في كل شيء لان اجهل الناس يرى انهم غير متساوين ولو كانوا من اب واحد وام واحدة ثم انهم متساوون لدى القانون ولكن هذا امر آخر ليس كلامنا فيهِ فلا محل اذاً للاعتراض الاول . واما قولنا ان الناس من طينة واحدة ولا يمتاز بعضهم على بعض الاَّ بالفضائل المكتسبة فظاهر الامر انهُ اطلاق شعري ولكنهُ لا يخالف الحقائق العلمية عند ارادة التدقيق

وقال ثانياً اننا لما علمنا الطبيعة لعدم وضعهم حدّاً لمذهب النشوء . ونحن لم نفهم لانهم لم يضعوا حدّاً لاسيما وانهُ فهم بالحد النهاية التي يقف النشوء عندها كما يظهر من آخر انتقادهِ بل لعلهم لانهم تركوا مذهب بقاء الاصلح على اطلاقهِ اي لم يوضحوا المعنى المراد من بقاء الاصلح فان كلمة بقاء الاصلح هي ترجمة الكلمة الانكليزية survival of the fittest فقد يكون اللص الماهر في السرقة اصلح الناس للعيشة واخلاف النسل في بلاد يعيش اهلها بالسرقة فهل مصلحة نوع الانسان تقتضي ترك اللصوص يعمّرون في الارض ويتناسلون فيها لانهم اقوى من غيرهم واقدر على المعيشة . والفلاسفة المنقطعون للدرس والبحث اقل صلاحية من غيرهم للعيشة في بلاد الحول والطول فيها للقوة البدنية او للمهارة في ري السهام او اطلاق البنادق فهل ينبغي التغاضي عن الفلاسفة ليتقرضوا هم ونسلهم جريّاً على ناموس بقاء الاصلح في تلك البلاد . وقس على ذلك الطمع الاشعبي في الكسب فانهُ اصلح من غيرهِ في اكثر البلدان ولكن ليس من مصلحة نوع الانسان ان يقوى هذا الخلق في بعض الناس حتى يستأثروا بالاموال كلها . ولذلك فبقاء الاصلح واجب لارتقاء نوع الانسان اذا قيد الاصلح بانهُ الافضل والانفع للنوع كلهِ بنوع عام

هذا واننا لما كتبنا تلك المقالة كنا نفكر في طريقة تجمع بين الاجناس العثمانية حتى تصير كلها امة واحدة بعد المذابح الفظيعة في بر الاناضول واتفق ان زارنا حينئذٍ رجل من اهالي سالونيك واخبرنا عن اتفاق الاعضاء من جمعية الاتحاد والترقي الذين من تلك البلاد وعن ان الناس هناك يتزوجون بعضهم من بعض على اختلاف اديانهم والاتحاد بينهم كما هو بين اصحاب الدين الواحد فخطر ببالنا حينئذٍ تألف الشعب الاميركي من امم مختلفة كالانكليزية واسكتلندية وارلندية والمانية وفرنسوية وهولندية تجمعها جامعة الزواج التي مزجتها بعضها ببعض حتى لم يخطر على بال احد ان روزفلت مثلاً رئيس الولايات المتحدة هولندي الاصل . والسلمون سكان القطر المصري مزيج من كل امة شرقية وبعضهم جاء مصر بنفسهِ او جاءها ابوهُ ومع ذلك تراهم مرتبطين ممتزجين على احسن ما يكون بين الامم الممتزجة وكثير

منهم من اصل قبطي ولكنهم لما فصل الدين بينهم وبين الاقباط المسيحيين ولم يعودوا يتزاوجون صاروا كأنهم من جنسين مختلفين. وقد امتزج السوريون المسلمون بالمصريين المسلمين بالزواج فصاروا معهم امة واحدة واما السوريون المسيحيون فلم يمتزجوا بالمصريين المسيحيين بالزواج فبقوا امتين مختلفتين. فرابطة الزواج اقوى من رابطة الدين. فنحسم امامنا حينئذٍ هذا المبدأ العلمي وهو ان التزاوج يزيل الفروق بين الاجناس المختلفة ثم اذا جعل رسل الخير ودعاة الاديان غرضهم الاول التعليم بان الله صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض سهل امتزاج الناس بالتزاوج وقوي خلق الخنوف بينهم بعضهم على بعض وضعف خلق الجفاء

باب تدبير المنزل

قد افردنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اقراص النعنع

لاحدى السيدات

اكسري بيضةً وخذي زلالها وضعيه في كاس كبيرة. وخذي نصف رطل (نحو ٧٠ درهماً) من السكر الناعم جداً واضيفيه الى زلال البيضة قليلاً قليلاً وانت تحركينهُ بفرتيكة (شوكة) كبيرة متينة تحريكاً مستمرًّا حتى يمتزج السكر كلهُ بالزلال جيداً ويصير من ذلك معجون شديد القوام. ولا يتم هذا المزج في اقل من عشرين دقيقة الى نصف ساعة. ثم اضيفي الى هذا المعجون نقطاً قليلة من روح النعنع وانت تعجنينهُ بيديك موافتليه فتيلة طويلة من ثخن واحد وقطعيه قطعاً صغيرة ورقي كل قطعة منها على حدة حتى يكون منها قرص صغير او رقي المعجون رقاقةً واسعة وقطّعي منهُ اقراصاً صغيرة مستديرة كل قطعة منها كالقرش الصاغ بانبوبة مستديرة من المعدن. فهذه الاقراص مثل اقراص النعنع تماماً وتوضع على ورقة بيضاء نشافة بعد ان يرش على الورقة سكر ناعم وتترك عليها يوماً او يومين فتتصلّب